

الهبات المعمارية كسلوك سياسي ديني واجتماعي

بالمدين الرومانية في الجزائر

د. عرباوي صادق

أستاذ محاضر-ب-

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

arbaoui.saddek@univ-emir.dz

ورقة بحثية قدمت ضمن فعاليات الملتقى الوطني الموسوم بـ:

"ال عمران الأثري بالجزائر بين تجسيد المقومات الاجتماعية وحفظ الهوية الوطنية"

المنعقد في يوم 27 ماي 2023 بجامعة عبد الحميد مهري -قسنطينة 2-

مقدمة

أشارت النصوص الإبيغرافية الى أن التنمية المعمارية للمدين الرومانية بالجزائر خلال العهد الامبراطوري الأول لم تكن مسؤولية المجالس المحلية فحسب، وإنما كان لوجود عائلات ثرية بهذه المدين مساهمة كبيرة في ذلك، من خلال منحهم لعطاءات مالية بشكل كبير للصالح العام، حرصوا على تجسيدها في شكل ورشات معمارية تخليدا لكرمهم تجاه مدينتهم، و ذلك في اطار نظام الأعيان الذي أقرته السلطة الرومانية، و الذي أفرز على نوعين من الهبات الحرة و الشرفية، تستوجب هذه الاخيرة مصاريف التشريف لتقلد المهام الادارية السياسية و الدينية، و ذلك بمنح قيمة مالية رسمية (القيمة الشرفية) تمنح نقدا لخزينة المدينة، و هي القيم التي كثيرا ما يحدث أن تستغل في مجال النشاط المعماري، هذا و يقترن بهذه القيمة أيضا هبة شرفية يعد بتقديمها المتقلد للمنصب الشرفي(بمناسبة اعتلائه لمنصب الماجستير)، و التي غالبا ما حرص أصحابها لتجسيدها هي الأخرى في بناء أو ترميم بعض المباني العمومية أو تزيينها.

خلق نظام الاعيان هذا منافسة شديدة بين النبلاء و العائلات الثرية، دفع بهم في كثير من الاحيان لتقديم هبات حرة هدفها في الغالب ابراز تفوقهم و نجاحاتهم الاجتماعية، و هي غايات كثيرا ما اعتبروا الهبات المعمارية أفضل وسيلة لترسيخها بين معاصريهم و بين من سيأتي من بعدهم، هذا و يحدث في بعض الاحيان أن قدم النبلاء هبات معمارية اضافية عن الهبات الأولى الموعودة، و ذلك لرغبة منهم في الزيادة أو كعقوبة لهم لتأخرهم في تنفيذ الوعد، لم يتوقف الأمر بهم عند هذا الحد بل هناك من عمل حتى على تقديم هبات معمارية بصيغة الوصية.

وممارسة هذا النظام من قبل النبلاء كان بمثابة أحد المجالات المميزة في حياتهم البلدية وواجب مهم في مسيرتهم، و من خلاله يعمل الخواص على تعزيز مكانتهم داخل المجتمعات التي ينتمون لها، منها التي قدمت بمناسبة تقلدهم لمناصب الماجسترا (لدافع سياسي)، ومنها التي منحت عن طيب خاطر وهذه لا تخضع لأي التزام قانوني؛ إنما منحت في الأساس لعدة اعتبارات اجتماعية و دينية ...، وغالبا ما يعبر عنها في الوثائق الإبيغرافية بعبارات صريحة.

في سياق تقديم الهبات المعمارية من قبل الخواص في إطار نظام الأعيان الذي أفرزته السلطة الرومانية سنحاول التعرّيج حول طبيعة هذا النظام و كذا تقصي الغاية (الدافع) وراء تقديم الخوض من النبلاء و الماجيسترا و رجال الدين لهبات معمارية لصالح المدن التي ينتمون لها.

يندرج هذا الموضوع من حيث المبدأ ضمن البحوث المتخصصة في مجال علم الإبيغرافية أي دراسة نصوص النقيشات الأثرية اللاتينية، و بالتحديد تلك المتعلقة بميدان دراسة المنشآت المعمارية الرومانية بالجزائر، و بصفة عامة فهي بمثابة مصدر أثري متميز و مادة خام غنية بالمعلومات، يفيدنا تحليلها على إلقاء أضواء على سلوكيات الأفراد خاصة الاجتماعية و السياسية المرتبطة بالمجال المعماري، من خلال ما يصطلح عليه بالعطاءات المعمارية على اختلاف أشكالها، من خلال تزويدنا بمعطيات عن النظام الذي انتهجته السلطات الرومانية في جذب الأعيان المحليين ليكونوا مصدر تمويل لسياسة التحضر المعماري لهدف تكريس الوجود الروماني بالمنطقة، بالإضافة الى معرفة أساليب التحضر المعماري التي تتيح تتبع وتيرة النشاط المعماري.

موضوع دراستنا هذا يتيح لنا الخوض في النصوص المشيرة للمنشآت المعمارية و من ثم كسر عادة الاكتفاء بالأبحاث الأثرية في دراسة الجانب الحضاري المعماري، و العمل على إيصال فكرة مفادها أنه إذا

كانت الأبحاث الأثرية تهتم بالجانب الهيكلي و الفني للمنشآت المعمارية، فإن دراسة الوثائق الإبيغرافية لها أهمية بالغة في الكشف عن معطيات متعلقة بالبعد الإداري و الاجتماعي و السياسي للحياة البلدية.

1- الهبة المالية:

برز التفاعل الإيجابي مع ظاهرة العطاءات المالية منذ الحضارات القديمة عند البابليين ولدى القدماء المصريين و الإغريق و الرومان و حتى المسلمين على اختلاف دياناتهم و معتقداتهم، غير أن تطبيقها لم يخرج عن معناها الجوهرى لما يطلق عليه بالهبات أو العطاءات أو الوقف عند المسلمين.¹

كلمة العطاء أو الهبة المالية "évergétisme" هي مصطلح جديد صاغه "أندري بولانجر BOULANGER A." في سنة 1923م في كتابه عن: Aelius Aristide،² اشتق من الكلمات اليونانية evergète (المتبرع) و euergésia (الإحسان)، التي أشارت لها المراسيم التنفيذية الشرفية الهلنستية للمتبرعين و هباتهم،³ أين كرمت المدن أولئك الأشخاص الذين فعلوا الخير للمدينة من خلال أموالهم أو من خلال خدماتهم العمومية،⁴ عرفت هذه الظاهرة عند الرومان انتشارا كبيرا خاصة في مدن مقاطعاتها الإفريقية أين كان الأعيان يقدمون إلى جانب الضرائب عطاءات مالية، الغرض منها الحصول على المكانة لدى المواطنين حيث تبقى أسمائهم تُمجّد للأبد، في المقابل يكافأ صاحب العطاء بإنجاز تمثال له يكتب على قاعدته عبارات تدل على الاعتراف له بالجميل.

يقدم الباحث الفرنسي "فين بول" عدة تعريفات للهبة المالية نذكر منها: "العطاء هو الفعل الذي انتظرته المجتمعات (المدن، المدارس...) من الأغنياء الذين ساهموا بأموالهم في النفقات العمومية، سواء عن طيب خاطر أي بشكل عفوي أو بمناسبة انتخابهم لشرف عمومي"، "العطاء هو ممارسة أمليت من خلال دوافع أخلاقية و اجتماعية، وضعت لأجل الأعيان لغرض تقديم الهدايا ذات المنفعة العامة للمجتمع خاصة عند ممارسة الوظائف العمومية، و ليست بالمنفعة المتبادلة و إنما هي الرضا المادي"،

¹ مقارنة (بختة)، العطاء ببلاد المغرب القديم: موريطانيا القصبية أنموذجا، الملتقى الدولي حول الوقف و مصطلحاته بين الواقع الاجتماعي المحلي و المعايير الفقهية، مجلة الناصرية، مخبر البحوث الاجتماعية و التاريخية، العدد 7، معسكر، دون سنة، ص. 224.

² BOULANGER (A.), Aelius Aristide et la sophistique dans la province d'Asie au IIe siècle de notre ère, Paris, 1923.

³ GYGAX (M. D.), Contradictions et asymétrie dans l'évergétisme grec : bienfaiteurs étrangers et citoyens entre image et réalité, dans: Dialogues d'histoire ancienne, Vol. 32, N°1, 2006, P. 11.

⁴ VEYNE (P.), Le pain et le cirque, Sociologie historique pluralisme politique, Paris, 1976, P. 20.

كذلك "هي الهدية و التكريم، فالدافع وراء الهبة هو الرضا الذي توفره العلاقة أما التكريم فهو يرمز الى وجود العلاقة".⁵

صنف الباحث "سيبياك ميراي CEBEILLAC M." العطاءات الى صنفين أساسين: عطاءات سريعة الزوال و عطاءات مستدامة، فالأولى هي تلك التي تندرج ضمن مجال الاستهلاك، ويتعلق الأمر بالعروض المسرحية و الألعاب و توزيع الأموال و غيرها من الهبات التي ميزتها في العادة وليمة استثنائية، أما الثانية (العطاءات المستدامة) فهي مغايرة للهبات القابلة للاستهلاك، ميزتها الجوهرية أنها تتميز بالديمومة و أنها كثيرا ما تركت آثار معمارية على اختلاف وظائفها (مدنية، دينية و دفاعية...) لانزال شاهدة الى يومنا هذا على تلك الممارسة التي ساهمت بشكل كبير بتغير مورفولوجية العديد من المدن التي استفادت منها.⁶

تشير النقيشات اللاتينية التي عثر عليها في المدن الرومانية بالجزائر و التي تحمل إشارة لهذه العطاءات الى أن هذه الهبات المالية كانت تخص الأباطرة ونبلاء المدن المحليين من أعضاء السينا و الفرسان و الماجسترا و رجال الدين و غيرهم⁷ الذين هم في الأصل من ملاك أراضي أو ممن يملكون مؤسسات حرفية أو بشكل عام مستوى ثرائهم متعدد و متنوع.⁸

2- هبات الخواص المعمارية:

نجد الخواص من الأفراد الأحرار و الأثرياء من النبلاء الذين تقلدوا مختلف المهن في مجلس السينا و طبقة الفرسان و المجالس المحلية و غيرهم قدموا عطاءات أكثر من غيرهم، ليس فقط لكونهم يملكون الإمكانيات، و انما لكون شخصيتهم التي يتوجب عليها أن تكون حساسة و قدوة تجاه العامة، و لغرض إظهار ثروتهم و كرمهم⁹ و كذلك رغبة منهم في الفخر و حبا في وطنهم أو إرادة منهم لتزين مدنهم حتى يتجاوز غناها غنى المدن المجاورة، و هذا ما يخلق نوع من المنافسة بينهم و يظهر ذلك بشكل جلي في النقيشات التي أشارت لهذه العطاءات، أين تظهر رغبة النبلاء في استقرار ثروتهم و عظمتهم، و ذلك من خلال بحث المواطنين الأغنياء لتقديم مدنهم العطاءات الأكثر روعة¹⁰ عند منح لمنشآت معمارية جدّ مكلفة، و

⁵ VEYNE (P.), Op-cite, P. 20-25.

⁶ CEBEILLAC (M.), L'évergétisme des magistrats du Latium et de la Campanie des Gracques à Auguste à travers les témoignages épigraphiques, dans: M.E.F.R.A., T. 102, N°2, 1990, PP. 704-708.

⁷ BOURGAREL-MISSO (A.), Recherches économiques sur l'Afrique romaine, dans : Rev. Afr., V 75, 1934, P. 381.

⁸ LASSERE (J-M.), Manuel d'épigraphie romaine, T. 2, Ed. Picard, Paris, 2005, P. 625.

⁹ VEYNE (P.), Op-cit, P. 17.

¹⁰ BOURGAREL-MUSSO (A.), Op-cit., P. 406.

حصولهم في المقابل على تشريفات و تقديرات تقدم من طرف المواطنين، الذين يلقبونها فيها باسم مزيني المدينة ornator civitatis أو مزيني الوطن ornator patriae.¹¹

كان يرى الخواص من النبلاء أن تحرير الهبات الموجهة للصالح العام خاصة المعمارية منها هي بمثابة واجب جد مهم في مسيرتهم، لاعتبارها أنها تساهم بشكل كبير في مكانتهم داخل المجتمعات التي ينتمون لها، وهي العطاءات التي يمكننا أن نميز فيها بين نوعين رئيسيين هما: الهبات الشرفية و الهبات الحرة، الأولى هي نتيجة عطاءات قدمت بمناسبة اعتلاء لمجسترا بلدية، أما الثانية فقد منحت من دون أي التزام قانوني.

1-2 الهبات الحرة:

هي العطاءات المقدمة من طرف النبلاء عن طيب خاطر أو بشكل عفوي من دون أي إلزام قانوني، و التي يسميها "فين بول" بالهبة الحرة و بأكثر دقة " نظام المساهمات المدفوعة عن طيب خاطر أو من غير إلزام رسمي، من طرف الأشخاص الذين يملكون المصلحة، سواء المادية منها أو الروحية، في السعي لتحقيق الهدف"،¹² الجدير بالذكر أن هذا النوع من الهبات جاءت من خلال حب المتبرعين لأوطانهم،¹³ ذلك الحب تجاه الوطن أمر محسوس في العطاءات التي يقدمها النبلاء لصالح مجتمعات مدنهم، وكذلك رغبة منهم في إظهار نجاحاتهم الاجتماعية، و التي يعتبرها "لوغلي مرسال" بمثابة إشارة واضحة على الحماية الإلهية، تظهر بشكل جلي تلك الرغبة في التباهي و النرجسية في إعلان تكلفة المعالم المشيدة و بالتالي أهمية العطاء.¹⁴

2-2 الهبات الشرفية Ob honorem:

هي الترجمة الملموسة للمكانة الاجتماعية التي تم إضفاء الطابع الرسمي عليها من خلال تحقيق أعلى درجات الشرف،¹⁵ و أيضاً أداة للتنافس والاستراتيجيات التي عارضت بين الأعيان مع بعضهم البعض،¹⁶ و بصيغة أخرى الهبة الشرفية هي عطاءات مقدمة بمناسبة التعيين لشرف عمومي في مناصب

¹¹ MALISSARD (A.), Les romains et l'eau. Fontaines, salles de bains, thermes, égouts, aqueducs..., Les belles lettres, Paris, 2002, P. 301.

¹² VEYNE (P.), Op-cit, P. 25

¹³ LE GLAY (M.), Évergétisme et vie religieuse dans l'Afrique romaine, dans: L'Afrique dans l'Occident romain (Ier siècle av. J.-C. - IVe siècle ap. J.-C.), Actes du colloque de Rome (3-5 décembre 1987) Rome : École Française de Rome, 1990, P. 79.

¹⁴ Ibid, P. 83-84.

¹⁵ JACQUES (F.), Volontariat et compétition dans les carrières municipales durant le Haut-Empire, dans: Ktèma : civilisations de l'Orient, de la Grèce et de Rome antiques, N°6, 1981, P. 269.

¹⁶ HUGONIOT (C.), Les spectacles de l'Afrique romaine, une culture officielle municipale sous l'empire romain, Volume 01 : les édifices de spectacle, thèse de doctorat inédite, Université de Paris IV, Sorbonne, 1996, P. 488.

إدارية و دينية، تتغير في الأساس طبيعة هذه الهبات التشريفية بحسب رغبات النبلاء، فكثيرا ما صرفت هذه الهبة في عطاءات زائلة كتقديم وجبات غذائية أو تنظيم عروض مسرحية أو عروض الصيد...؛ أو في عطاءات مستدامة تمثلت في المنشآت المعمارية أو عناصرها.

يقترن بمصاريف التشريف ثلاث أنواع من النفقات الشرفية و يتعلق الأمر بكل من القيمة الشرفية أو القانونية و القيمة الموعود لشرف ما و القيمة المالية المضافة، و هي قيم مالية كثيرا ما حرص النبلاء على تجسيدها في صورة أشغال معمارية، لذلك سنحاول التعرّيج عليها لإظهار مدى مساهمة هذا النظام في التنمية المعمارية بالمدن الرومانية بالجزائر.

1-2-2 القيمة المالية الشرفية *Summa honoraria*:

تعتبر من أهم شروط تقلد المناصب و الترقية،¹⁷ و هي قيمة مالية إجبارية لا ينبغي أن تتأثر بأي تأخير في التنفيذ، تدفع الى الخزينة العمومية نقدا مالم يتم توجيهها للبناء،¹⁸ تعرف بالمصطلح اللاتيني *summa honoraria* أو *summa legitima*، نجدها في القوانين المحلية للمدن الرومانية و التي تأخذ صبغة هبة مخصصة للمنفعة العامة للمدينة، و يقوم الفرد بدفعها في بداية مهامه الإدارية (مرتبطة بالوظائف السياسية كمسيرين للمدينة) و الدينية و تختلف هذه القيمة من مدينة الى أخرى و من رتبة لأخرى.

في البداية اقتصرت هذه القيمة القانونية على من كانت لهم رغبة التدرج في السلم الشرفي من مناصب الماجسترا و رجال الدين و الارتقاء بها، غير أنه مع مرور الوقت بدافع الضرورة أمام احتياجات المدن و الكرم العفوي الى حد ما للأعيان، تبنت جميع المدن تدريجيا دفع المبلغ التشريفي للديكوريون كنظام مساهمة لتحسين المستوى المالي للمدينة، أين اكتمل هذا التطور في الثلث الأخير من القرن الثاني للميلاد بما في ذلك المدن التي كانت لها نظام قديم مثلما هو الحال في سيرتا،¹⁹ و أصبح موردا أساسيا لا غنى عنه لتسيير المدينة، و الدليل على ذلك هو التقدم الذي حققته البلديات في ظل حكم السيفيرين.²⁰

اعتبرت "بورغال موسوا" أن هذه التسعيرة القانونية هي العنصر الأكثر أهمية في غنى المدن و كذا أحد المصادر الأساسية للخزينة البلدية، فهي بمثابة ضريبة غنى الأغنياء الذين يرغبون في الوصول أو

¹⁷ JACQUES (F.), Le privilège de liberté, Politique impériale et autonomie municipale dans les cités de l'Occident romain (161-244) Rome, collection de l'école française de Rome, Rome, 1984, p. 689.

¹⁸ Ibid, P. 690-691.

¹⁹ BRIAND-PONSART (C.), Summa honoraria et ressources des cités d'Afrique, dans: Il capitolio delle entrate nelle finanze municipali in Occidente ed in Oriente, Actes de la Xe Rencontre franco-italienne sur l'épigraphie du monde romain (Rome, 27-29 mai 1996) Rome, École Française de Rome, 1999, PP. 226-227.

²⁰ Ibid, P. 231.

الارتقاء لمختلف المناصب العليا (الحصول على الألقاب الشرفية)،²¹ و هو عكس ما ذهب إليه "فين بول" الذي يصر على كون أن هذا النوع من التبرعات ليس بضريبة و لا بحالة إعادة التوزيع الاجتماعي، لكن يوافق على اعتبارها أحد الطرق التي يمكن أن تتحصل فيها المجتمعات المحلية على الموارد المالية،²² أما "جون أندرو" و آخرون فيوافقون على اعتبارها الحل الأكثر أناقة و الأكثر عقلانية من الضريبة المباشرة لضمان نفقات الدولة،²³ ربما الشيء المتفق عليه من قبل هؤلاء الباحثين هو أن هذا النوع من الهبات قد ساهم بشكل كبير في تخفيف نفقات الخزينة البلدية خاصة في بعض الفترات العصيبة التي عرفت الإمبراطورية، و ذلك من خلال بناء أو ترميم و حتى تزين العديد من المباني في عدة مدن.²⁴

2-2-2 الوعد بتقديم هبة Pollicitatio :

كثيرا ما وعد الماجسترا بدفع مبلغ إضافي عن القيمة الشرفية و ذلك في حالة اعتلائهم لرتبة عليا أخرى أو عند امتئانهم لمناصب تشريفية في سياق إدارة شؤون المدينة، تكون هذه القيمة المالية المضافة حسب إرادة الشخص (أي بشكل عفوي)، و التي يحرص المتبرع بها على الإشارة لها في النقيشة بمصطلح Pollicitus،²⁵ في البداية كان هذا الوعد هو تصرف عفوي يضاف للقيمة الشرفية المقدمة من طرف المترشح لامتحان المنصب بعدها أصبح تصرف حقيقي مؤلوف،²⁶ و ذلك لسبب الضغوطات الممارسة من طرف المواطنين على النبلاء المشاركين في الماجسترا،²⁷ هذا الى جانب دفع الفائدة في حالة التأخير في التنفيذ، و هو ما يثبت مرسوم للإمبراطور سبتيموس سيفيروس و ابنه كركلا،²⁸ و الفترة المحددة لدفع الوعد²⁹ من المحتمل هي مفروضة من خلال التقاليد المحلية و كذا أهمية الهبة، التي هي من دون شك

²¹ BOUGAREL-MUSSO (A.), Op-cit., P. 404.

²² ANDREAU (J.), SCHNAPP (A.) et autre, Paul Veyne et l'évergétisme, dans: Annales. Économies, Sociétés, Civilisations, 33^e année, N^o. 2, 1978, P. 309.

²³ Ibid, P. 320.

²⁴ BOUGAREL-MUSSO (A.), Op-cit., P. 406.

²⁵ مهنتل (جهدية)، الهبات المالية -Évergétisme- في النظام المحلي لمدن المغرب القديم من خلال النقائش، في مجلة آثار، أعمال الملتقى

الخامس حول: دور البحث العلمي في المحافظة على التراث الأثري، العدد 12، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، سنة 2015، ص. 102.

²⁶ HULOY (H.) et BERTGELOT (J-F), Les cinquante livres du Digeste ou des Pandectes de l'empereur Justinien, t. 7, Mets, 1804, P.579.

²⁷ LAHMEDI (A.), Testament facere: legs et évergétisme testamentaire dans les provinces romaines d'Afrique, Thèse en vue de l'obtention du doctorat en Histoire ancienne, Faculté sciences humaines et sociales, Tunisie, Tunis, 2015/2016, P. 173.

²⁸ JACQUES (F.), Ampliatio et mora : Evergètes récalcitrants d'Afrique romaine: Ant. Afr., 9,1975, p. 162.

²⁹ JACQUES (F.), Le privilège de liberté, Op-cit, p. 735.

محددة في نفس الوقت من طرف الشخص الذي يقوم بالوعد، أين يتفق المتبرع و المجلس البلدي على الفترة الزمنية الموعودة و في الوقت نفسه على المبلغ و يشار لذلك على الوثيقة العمومية *acta publica*.³⁰

بحسب مرسوم للإمبراطور تراجان³¹ فإن تنفيذ الوعود من طرف النبلاء أمر حتي (ابتداء من عهد الإمبراطور تراجانوس)، سواء كان ذلك أثناء حياتهم أو من خلال تكليف ورثتهم لتنفيذ ذلك، و يجدر الإشارة الى أن تنفيذ الوعود قد تصل إلى أن تسقط على الورثة³² من الدرجة الثانية *Pro Heres*، و هو ما يثبتته نص إهدائي يعود لمدينة دوجة.³³

تعددت طبيعة الهبات التي وعد بها الخواص على شرف المناصب التي تقلدوها، فإن لم تكن قيمة مالية تقدم لخزينة المدينة لأجل تجسيدها في وجبات طعام أو عروض ألعاب و صيد وغيرها من الهبات الاستهلاكية، فيتم توجيهها لفتح ورشات معمارية على اختلاف طبيعتها، و هو التوجه الذي كان يفضله أصحاب الهبات نظرا لميزة الديمومة التي كانت تتميز بها هذه الهبة.

2-2-3 القيمة المالية المضافة *Ampliata pecunia*:

المقصود بها تلك القيمة المالية التي يضيفها المتبرع للقيمة المالية الأولى الموعودة (سواء كانت حرة أو شرفية أم وصية)، في البداية فسرها المؤرخ الفرنسي "فين بول" برغبة الورثة في الزيادة بدافع التقوى؛ أو رغبة منهم في دفع نصيبهم عن المكانة التي ورثها آبائهم لهم بالمدينة؛³⁴ أو أنه منذ أن اكتسى الوعد بالقيام بالهبة صفة الإلزامية وجد النبلاء في القيمة المضافة ضالتهم لإظهار كرمهم على غرار باقي النبلاء،³⁵ و هي التفسيرات التي يراها "جاك فرنسوا" أنها غير منطقية فمن خلال الأبحاث التي قام بها هذا الأخير توصل الى كونها غرامة مالية (شكل من أشكال العقوبة) يقدمها الأشخاص الذين لم يُفوا بوعودهم بتقديم الهبات (المتبرعين أنفسهم أو ورثتهم المتمردين عن دفع النفقات الموعودة) في الوقت المحدد، فكل تأخير *mora* يفضي دفع فوائد للقيمة الموعودة بنسبة 06 في المائة سنويا، وذلك للوعود التي تعدت فترتها الزمنية 06 أشهر فما فوق عن الفترة الزمنية المحددة من طرف كل من المتبرع و المجلس البلدي، استند في ذلك

³⁰ JACQUES (F.), *Ampliatio et mora...*, Op-cit, p. 163.

³¹ JACQUES (F.), *Le privilège de liberté...*, Op-cit, P. 771.

³² Ibid, P. 781.

³³ Ibid, P. 736.

³⁴ VEYNE (P.), *Le pain et le cirque*, Op-cit, PP. 99-100.

³⁵ عالج "جاك فرنسوا" هذه الفرضية في كتابه: *Le privilège de liberté...*, Op-cit, P 735

"جاك فرنسوا" لقرار الأمبرطور أنطونيوس التقي،³⁶ الذي أقر بتشريعات تتعلق بفرض غرامة مالية على الوعود الغير منفذة في وقتها المحدد.

في حين يفترض "مونتان" أن الإشارة لظاهرة القيمة المالية المضافة Ampliatus في النقيشات اللاتينية لها مغزى مزدوج، فقد يكون لعقوبة التأخير في تنفيذ الوعد، و بالتالي فالقيمة المضافة تعد كمؤشر لانتصار المدينة على النبيل الذي كان يسعى للتهرب من التزاماته الأخلاقية و الاجتماعية و القانونية، أو رغبة في الزيادة عندها تكون القيمة المضافة لها جانب روحي حقيقي، و يكون الإشارة لها هو فقط تذكير للتعهدات المتخذة في إطار قانوني.³⁷

2-3 الهبة بصيغة الوصية Ex testamento:

الى جانب الوعود الشرفية التي كان يقدمها النبلاء المحليين يوجد صنف آخر من العطاءات المالية التي منحت من قبل الخواص للصالح العام عن طريق الوصية،³⁸ وهذا الصنف من النفقات نجد له عدة أشكال و يمس عدة مجالات، فالعديد من المعالم العمومية للمقاطعات الافريقية الرومانية التي عرفت من خلال بقاياها المادية أو من خلال الاهداءات، كانت قد بنيت بفضل تبرعات الوصايا لذلك يقول فرنسوا جاك " يبدو أن المعابد و المسارح كلها أو جزء منها بنيت بفضل الوصايا في افريقيا".³⁹

تفحص الوثائق الابيغرافية المتعلقة بموضوع دراستنا كشف لنا عن وجود هبات قدمت لغرض انجاز مباني عمومية بصيغة الوصية Testament، هذه الأخيرة (الوصية) يعرفها الأستاذ " عدنان الحميدي"،⁴⁰ في أطروحته دكتوراه على " أنها الفعل القانوني لآخر إرادة أو رغبة، وذلك بصفة رسمية (قانونية)، تصبح سارية المفعول بعدة وفاة الوصي مباشرة"، و يشار لها في مرسوم إمبراطوري⁴¹ في شرح المقصود منها " الوصية هي التعبير الشرعي عن إرادتنا بشأن ما نريد مراعاته بعد موتنا"، تخضع الوصية عامة لقواعد دقيقة للغاية، و للقيام بها حسب القانون الروماني لا بد من امتلاك حق تقديم الوصية و الممارسة،⁴² لذلك فمن شروط صحتها هو أن يكون الوصي بكامل قدراته عند تحريرها، و له الحق في

³⁶ JACQUES (F.), Le privilège, Op-cit, P. 306, LAHMEDI (A.), Op-cit, P. 141, HULOT (H.) et BERTGELOT (J-F.), Op-cit, T. 7, 575.

³⁷ MONTAGNE (G.), « Amator civitatis », Les notables municipaux en Numidie (IIème siècle ap. J.-C. – IVème siècle), Mémoire master 2 en Archéologie Préventive, Département Archéologie et Anthropologie, Université de Pau et des Pays de l'Adour, 2012-2013, P. 367.

³⁸ JACQUES (F.), Ampliatio et mora..., Op-cit, P. 159.

³⁹ JACQUES (F.), Le privilège de liberté..., Op-cit, P. 695.

⁴⁰ LAHMEDI (A.), Op-cit, P. 157.

⁴¹ HULOT (H.) et BERTHELOT (J-F.), Op-cit, P. 85.

⁴² LAHMEDI (A.), Op-cit, P. 157.

الحصول على التراث وفقا للقانون الروماني Testamenti factio⁴³، خصص هذا الصنف من التبرع على وجه الخصوص للمواطنين الرومان الاحرار⁴⁴ الذين هم في الأصل رومانيين بالفطرة أو أنهم اكتسبوا المواطنة.⁴⁵

3- الغرض من تقديم الهبات المعمارية:

مكنتنا بعض الوثائق الإبيغرافية من معرفة الدافع من وراء مبادرة الخواص لمنح الهبات المعمارية من خلال تضمينها لإشارات واضحة أو أنها تسمح باستخلاص تلك المناسبات انطلاقا من صياغة أو مضمون النص الكتابي.

3-1 هبات معمارية منحت بدافع سياسي:

يظهر الدافع السياسي في تصرفات الماجسترا بشكل جلي في اطار السلم الشرفي *cursus honorem*، من خلال الوعود التي يقدمونها خلال حملاتهم الانتخابية، وكذا القيم الشرفية⁴⁶ التي كانوا يقدمونها للخرينة العمومية عند اعتلائهم لكل منصب سياسي، وهو أمر لا بد منه تفرضه القوانين و التقاليد المحلية للمدن الرومانية أين يقوم الفرد بدفعها في بداية مهامه الإدارية، طموح هؤلاء الماجسترا في اعتلاء المناصب أو الارتقاء في السلم الشرفي للوصول للمناصب العليا يدفع بهم للمنافسة حول الماجسترا المحلية⁴⁷، وبالتالي تقديم هبات معمارية جد مهمة وهو الأمر الذي تشهد عليه النصوص اللاتينية المشيرة لوعود تقديم الهبات.⁴⁸

تعددت طبيعة الهبات التي وعد بها الخواص على شرف المناصب التي تقلدوها، فإن لم تكن قيمة مالية تقدم لخرينة المدينة لأجل تجسيدها في وجبات طعام أو عروض ألعاب و صيد وغيرها من الهبات

⁴³ Testamenti factio: يشير هذا المصطلح إلى القدرة على المشاركة في وصية أو الاستفادة من التصرف فيها (الشروط الأساسية لصلاحية الوصية)، للمزيد أنظر:

- CUP (E.), Manuel des institutions juridiques des romains, Paris, 1928, P. 690.

⁴⁴ Ibid, P. 690, LAHMEDI (A.), op-cit, P. 157.

⁴⁵ CUP (E.), Op-cit, P. 692.

⁴⁶ على الرغم من أن "جاك فرنسوا" يرفض اعتبار القيمة الشرفية كتبرع لاعتقاده أن هذه القيمة المالية كانت خاضعة للقانون المحلي ومن لا يدفعها يصبح مدين للمدينة وبالتالي يكون قابل للمقاضاة على هذا النحو.

⁴⁷ يشير "جاك فرنسوا" أن التبرعات المشار لها في الكتابات الإفريقية تعترف بأزمة المباني السياسية للمدينة، لكن التبرعات الشرفية لا يمكن تبريرها من غير المنافسة، فإذا كان قد احتفظ النبلاء بذوق السخاء فقط لأنهم يريدون المشاركة في إدارة شؤون المدينة.

⁴⁸ وجود شخصيات قدمت عطاءات معمارية بعد تقلدها لكل مناصب المسار المهني المحلي و بصيغة الوصية يجعلنا نعتقد أن سخائها تجاه المدينة هو بدافع التقوى الشخصي أو شكر منها على التشريفات التي منحت لها من قبل المدينة أكثر من اعتبارها استثماراً في المهنة اللاحقة. أنظر الكتالوج رقم: 345.

الاستهلاكية، فيتم توجيهها لفتح ورشات معمارية على اختلاف طبيعتها، و هو التوجه الذي كان يفضله أصحاب الهبات نظرا لميزة الديمومة التي كانت تتميز بها هذه الهبة. فيما يلي أدرجنا جدول جمعنا فيه الكتابات التي تشير للهبات الموعودة، التي حرص اصحابها على تجسيدها في شكل أشغال معمارية إنشائية أو تزيينية:

المصدر	المدينة	الهبة الموعودة
AE 1940, 00017	بورسيكا نومباروم	وعد كوينتوس بيسكونيوس أويتوس Q. Pescennius Avitus انجاز نافورة، نفذ الوعد من قبل ابنه (مقترن بشرف)
ILAlg-01, 02121	مادوروس	وعد ماركوس غابينيوس سابينوس M. Gabinius Sabinius بتشيد مبنى المسرح الذي كان قد وعد به لشرف تعيينه كاهن دائم
CIL 08, 21625	ريجياي	بناء معبد للاله جوبتر وفقا لوعد الكاهن "أكيلوس فيليكس Aquilius Felix
CIL 08, 18766a	تيجريس	وعد تيتوس فلافيوس أونوراتوس T. Flavius Honoratus بتتصيب القوس لشرف تقلد منصب الديكوريون
AE 1979, 00670	ثاموقادي	وعد بوبليوس يوليوس ليبراليس P. Iulius Liberalis بتشيد نافورة لشرف التعيين في منصب كاهن
CIL 08, 04579	ديانا	تتصيب ماركوس أوريليوس أيميليانوس M. Aurelius Aemilianus لتمثال وعد به على شرف اعتلاء منصب دومفير بمبلغ 5.000 س
CIL 08, 07963	روسيكاد	وعد لوكيوس كورنيليوس فرونتوس بروبيانوس L. Cornelius Fronto Probianus بانجاز معبد مع تمثال الانتصار بمبلغ قدره 30.000 س، و ذلك على شرف تقلد رتبة الكاهن.
CIL 08, 07983		تتصيب كايوس أنيوس C. Annius لتمثالين من البرونز للانتصار الاغسطسي و فورتونة (لشرف ديكوريون و الراهب) واللذان نصبهما في نفس سنة الوعد، إضافة للوعد بتكريس 2.000 س لأشغال ترميم المسرح و 30.000 س لأشغال انجاز المدرج
CIL 08, 07946	قعنة ملتانوم	وعد الماجسترا بومبيوس سيكستوس شيشروا Bombius Sextius Cicero بتتصيب قوس لشرف التعيين في منصب الماجسترا
CIL 08, 20144	كوكول	وعد كلاوديوس مودستوس Cl. Modestus بانجاز قاعة اجتماع مزينة بأعمدة رخامية و تمثال، و ذلك لشرف التعيين في منصب راهب، غير أن موت الشخصية الواعدة حال دون ذلك، لذلك تدخل المفوض الامبراطوري و طلب من ابن المتبرع تنفيذ الوعد

وعد كايوس يوليوس كرسيكونس ديديوس كريسكونتيانوس C. Iulius Crescens Didius Crescentianus بتتصيب تماثيل في الساحة العامة، و ذلك لشرف اعتلاء منصب الكاهن.		AE 1920, 00114
وعد ماركوس كايكيلوس نطاليس M. Caecilius Natalis ببناء قوس و تماثيل على شرف اعتلاء منصب الكوين كوينال	القبائل	CIL 08, 07094
وعد كوينتوس فولفيوس فوستوس Q. Fulvius Faustus ببناء قوس على شرف إعتلاء منصب مسؤول الشؤون العامة و التموين.		CIL 08, 07105
نفيذ وعد أخيه (كودراتوس بيبانوس ويندكس Quadratus Baebianus Vindex) الذي توفي أثناء مواجهته لقبائل الجيتول، و المتمثل في بناء معلم جديد مجهول مع تمثال مهدي Pallas، و ذلك بمبلغ 100.000 س و ذلك لشرف اعتلائه لمنصب ما		CIL 08, 06958
لشرف تقلد منصب بلدي وعد كوينتوس كدراتيوس كوينتولوس Q. Quadratus Quintulus بانجاز معبد معمد و مزين بتمثال		CIL 08, 10867
تتصيب القوس الذي كان قد وعد به كايوس كايكيلوس فيكتور C. Caelius Victor في نفس سنة اعتلائه لمنصب مسؤول الشؤون العامة و التموين، و الذي شرع في أشغاله مع إعتلائه لمنصب دومفير	الملك	CIL 08, 11677

الجدول رقم (01): الهبات المعمارية الموعودة على شرف منصب ما.

مثلما أشرنا سابقا الوعد بالقيام بهبة هي رغبة في الزيادة عن القيمة الشرفية، فلما كانت هذه الأخيرة لا تظهر أي شكل من أشكال السخاء لجأ النبلاء الى إرفاقها بشكل دائم بالقيمة الموعودة و ذلك بشكل طوعي،⁴⁹ تتجلى هذه الرغبة في محاولة النبلاء في التميز و تجاوز المنافسين أو حتى أسلافهم، يمكننا أن نرى تلك الرغبة في الزيادة عندما خصصت هذه الوعد لإنشاء مباني ضخمة و فخمة و ذات مكانة جد مهمة في النسيج العمراني الروماني.

في كثير من الحالات ما تم تمويل المنشآت العمومية بالقيمة المالية الشرفية فقط، أو عند دمجها مع القيم المالية المضافة، و يبرز ذلك كثيرا في النصوص المشيرة لأقواس النصر باعتبارها الأكثر تنصيبا بمناسبة تقلد المناصب الادارية و الدينية،⁵⁰ ومن المنشآت التي كرس لها القيم الشرفية لتمويل عملية إنشائها نشير لقوس شيد عند مدخل مدينة تيجيزيس Tigisis بمصاريف شرف الديكوريون،⁵¹ و قوس قلعة سلتيانوم بتكلفة 3.000 س و هي مصاريف تشريف الماجسترا،⁵² كذلك قوس مادوروس الذي مول

⁴⁹ JACQUES (F.), Le privilège de liberté, Op-cit, PP. 689-699.

⁵⁰ CAROLINE (B.), Le rôle des administrations municipales dans l'érection des arcs monumentaux en Afrique (de la Tingitane à la Tripolitaine) du 1^{er} au IV^e siècle ap. J-C: Q.M.O.R., Collection histoires croisées, Paris, 2008, P. 600.

⁵¹ CIL 08, 18766a-b

⁵² CIL 08, 07946

هو الآخر بمال القيمة القانونية لإعتلاء منصب الكاهن،⁵³ أما فيما يتعلق بالمنشآت التي مولت من خلال عملية الجمع بين القيمة الشرفية و الهبات الموعودة و الإضافية فنشير لقوس مدينة مادوروس الذي كانت تكلفته جمع بين القيم الشرفية للديكورين و الكاهن مضاعفة و مبلغ التأخير،⁵⁴ و الشأن نفسه بمدينة تبورسيكوا نوميدياروم أين كان تمويل قوس سبتيموس سيفيروس مزيج بين القيمة القانونية لشرف منصب الكاهن و مبلغ إضافي ليصل إجمالي المبلغ إلى 77.000 س.⁵⁵

2-3 هبات معمارية منحت بدافع اجتماعي:

وجود نصوص كتابية تشير إلى أن منافسة الماجسترا المحليين فيما بينهم لأجل توفير أشغال معمارية ذات تكاليف مالية جد باهظة بالمدن التي ينتمون لها يفسر بالضغوطات التي كانت تمارس على هؤلاء النبلاء لتقديم تلك العطاءات،⁵⁶ تجلت هذه الضغوط في الجانب الاجتماعي لكون أن شرف عائلة النبيل يستوجب عليه تقديم تبرعات مهمة حتى يظهر استحقاقه للمكانة التي ورثها عن أسلافه،⁵⁷ فطبيعة الهبة التي سيقدمها تجعل شرف عائلته في خطر، لذلك يحاول صاحب العطاء دائما التنافس و التباهي في الهبات التي يقدمونها حتى يؤكدوا أحقيتهم بالمكانة في نظر أسرهم و مدنهم و كذلك في نظر مواطنيها،⁵⁸ فالعائلة المعروفة بهباتها تعطى لها الأفضلية في تقلد الوظائف البلدية، كما سيكون لها مكانة مرموقة بالمدينة و لدى مواطنيها، ولعل هذا ما يمكن أن نلمسه في نقيشة مدينة كالما⁵⁹ التي تشير أنه نظير التبرع الاستثنائي ob insignem liberalitatem المقدم من طرف "أنيا أيليا ريسيتوتوتة Annia Aelia Restituta" جعل مسؤولي المدينة يقررون تكريمها على ما قدمته من خلال تنصيب لها خمسة تماثيل بأموال الخزينة العمومية، أكثر من ذلك تخبرنا النقيشة أنه قد تم رفع تمثال آخر لأبيها "لوكيوس أنيوس أيليوس كليمنس L. Annius Aelius Clemens" بالأموال التي جمعها سكان المدينة، كذلك هو الأمر مع "ماركوس كايكيليس نطاليس M. Caecilius Natalis"⁶⁰ بمدينة سيرتا، الذي قدم العديد من التبرعات عند كل

⁵³ CIL 08, 04684

⁵⁴ CIL 08, 04679

⁵⁵ ILAlg-01, 01255

⁵⁶ إذا أخذنا برأي "فين بول" الذي اعتبر أن القيمة المالية المضافة *ampliata pecunia* هي المبلغ الذي يدفع من طرف الورثة لنصيبيهم من المكانة التي ورثها آباءهم لهم بالمدينة، عندها نفهم حرص النبلاء على سمعتهم و مكانتهم الاجتماعية بالمدينة. أنظر: (VEYNE (P.), Op-cit, PP. 99-100)، في هذا الشأن كذلك يشير "جاك فرنسوا" أن الهبات الشرفية تترجم جيدا ديمومة روح المنافسة بين الأعيان في المدن و كذا تجسيد موقف اجتماعي تم كسبه بالفعل و هو الموقف الذي يترجمه التشريف. (JACQUES (F., Volontariat et compétition ..., Op-cit, P. 269.

⁵⁷ ANDREAU (J.) et autres, Op-cit, P. 318.

⁵⁸ JACQUES (F.), Le privilège de liberté..., Op-cit, P. 692.

⁵⁹ CIL 08, 05365

⁶⁰ CIL 08, 07095

منصب تقلده، فتح الورشات المعمارية من قبل النبلاء كذلك هي وسيلة لهدف تخليد أسماء عائلاتهم أو أحد أفرادها و مكانتها بالمدينة، بحيث ساهم "ماركوس فابيوس فرونتوس M. Fabius Frontus" في أشغال مسرح روسيكاد بمبلغ 4000 س باسم إبنه "سنيكويس Senecius"،⁶¹ و في أوزيا تحمل "ديكينيسوس كلوديوس يوفيناليس سارديكوس Dec. Claudius Iuvenalis Sardicus" أعباء تهيئة السيرك للاحتفال لذكرى أفراد عائلته.⁶²

ذكر وثيقة تعود لمدينة روسيكاد أن "ماركوس أيميليس بالاطور M. Aemilius Ballator" فتح ورشات معمارية بناء على طلب الشعب *postulante populo*⁶³ يفهم منه من جهة أن فيه من الهبات التي مُرست تحت طائلة الضغط تأكيدا لما ذكره "هوغونيو HUGONIOT" أن الشعوب لم تكن تنتظر من النبلاء تنظيم عروض الحيوانات بل طلبوا منهم فتح ورشات معمارية خاصة الترفيهية منها التي تضمن لهم الراحة و المتعة،⁶⁴ و من جهة أخرى حرص النبلاء على الإشارة أن عطاءاتهم كانت نزولا عند طلب الشعب، يفسر ذلك كمحاولة منهم لتكوين صورة عن أنفسهم كخدم للمواطنين و بالتالي كسب ثقة المواطنين التي تسمح لهم الولوج لعالم المجد بفضل شرف انتخابهم لمنصب الماجسترا.⁶⁵

من منظور عام يمكننا القول أن الرغبة التي أشار لها "لوغلي" كون أن النبلاء يحبون إبراز نجاحاتهم الاجتماعية ليست بعفوية و إنما كانت تحت طائلة الضغوطات الاجتماعية التي كان الأعيان و الماجسترا خاضعين لها سواء على مستوى أسرهم و مدنهم و حتى سكانها التي ينتمون لها،⁶⁶ من هذا المنطلق يمكن الحديث عن ثنائية القطب في تقديم هذا النوع من الهبات، فعدم خضوعها لأي التزام قانوني يعطيها الصبغة العفوية ظاهريا و تظهر أنها قدمت حبا للوطن أو رغبة في التباهي، في حين أن خضوعها باطنيا للضغوطات الاجتماعية التي تفرضها عائلات النبلاء و المدن التي ينتمون إليها يطرح سؤال حول مدى عفوية هذه التبرعات ؟

⁶¹ CIL 08, 07988

⁶² CIL 08, 09065, 09067

⁶³ CIL 08, 07960

⁶⁴ HUGONIOT (C.), Op-cit, P. 141.

⁶⁵ DENIAUX (E.), Rome, de la cité-Etat à l'Empire, Institutions et vie politique aux IIe et Ier siècle av. J.-C., Ed. Hachette, Paris, 2014, P.193

⁶⁶ في هذا الشأن يعرف "فين بول" الهبات المالية كونها " الفعل الذي انتظرته المجتمعات من الأغنياء... عد الى: VEYNE (P.), Panem et circenses : l'évergétisme devant les sciences humaines: Annales: Economies, sociétés, civilisations, 24^e année, N. 3, 1969, P. 785 صحيح أن المستفيد الوحيد من هبات الخواص هم سكان المدن التي شيدت بها الأشغال، لكن تمجيد هؤلاء في هباتهم للألهة و اهدائها للأباطرة و عائلاتهم و كذا سكان المدن هو تعبير صريح منهم على الرغبة في الجذب لأنفسهم و عائلاتهم مقابل من الأشغال التي منحوها، أنظر: EDMOND (F.), Evergétisme et construction urbaine dans les Trois Gaules et les Germanies, dans: Revue du Nord, Tome 66, N°260, Janvier-mars 1984, P. 34-35.

إذا أخذنا بفرضية أن الهبات المعمارية التي منحت من طرف الخواص دون أي التزام قانوني تندرج ضمن الهبات التي قدمت تحت طائلة الضغوطات الاجتماعية عندها يمكننا القول أن موضوع دراستنا أسفر عن 118 نص إبيغرافي يشير لعطاءات معمارية، فتحت أشغالها في إطار زمني يمتد من النصف الثاني للقرن الأول للميلاد الى 284 م، تتوزع هذه الهبات على 45 موقع، تعود في الغالب إلى المدن التي توفر بها الاعيان الأثرياء الذين ساهموا بعطاءاتهم المعمارية في ازدهار و قوة المدن التي ينتسبون لها.⁶⁷

تتشارك الدوافع وراء الورشات التي تفتح بصيغة الوصية في أوجه التشابه مع العطاء التطوعي التي تساهم في تأكيد السمعة الطيبة، لاعتبار أن الوصية تجسد بعد وفاة صاحبها، و مع ذلك كان من الممكن أن يكون أحد الأسباب الكامنة وراء ترتيب أشغال معمارية بعد وفاته هو أن الموصي كان يأمل في إدامة مكانته المرموقة في المجتمع بعد الموت، كما يمكن لنا أن نعتبر منفذي تلك الوصايا و يقدمون هبات إضافية في غالب الأحيان معمارية من أجل مراعاة الأحكام المنصوص عليها في الوصية على أنهم يستفيدون من الفرصة لتحقيق مكانة بارزة في المجتمع، و يمكننا استكشاف تلك الدوافع من خلال مراعاة المتبرعين اختيار المستفيدين من الهبات الإضافية.

تفحص الوثائق الإبيغرافية المتعلقة بالمدن الرومانية في الجزائر كشف لنا عن وجود عشرة (10) نصوص تفيد تقديم تبرعات لغرض بناء تسعة (09) مباني مع تزين مبنى واحد (01) بتمثال، و هي التي أدرجناها في الجدول التالي:

المصدر	المدينة	التاريخ	الهبة المعمارية الموروثة
AE 1933, 00233		165-164 م	أورث كوينتوس تيتينيوس سابينيانوس Q. Titinius Sabinianus لابنه مبلغ 35.000 س لإنجاز معبد
CIL 08, 01858	تيفاست	214-213 م	أورث حاكم للفيلق كايوس كورنيلوس اغريليانوس C. Cornelus Egrilianus لإخوته الثلاثة مبلغ 250000 س لأجل تنصيب
CIL 08, 08389	سطافيص	القرن 3م	أورث كايوس سطاتولينوس مارتياليس C. Statulenus Martialis مبلغ 50.000 س لأجل انجاز مبنى مجهول
CIL 08, 17831		161-138 م	أورث بروتوس Protus مبلغ 22.000 س لأجل تنصيب تمثال للإلهة فورتونة

⁶⁷ عرباوي (صديق)، المنشآت العمومية الرومانية بالجزائر خلال العهد الامبراطوري الأول -دراسة إبيغرافية-، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2022، ص. 47.

أورث ماركوس يوليوس كونتيانيوس فلافيوس روقتيانيوس M. Iulius Quintianus Flavius Rogatianus لمدينته مبلغ 400.000 س لأجل بناء مكتبة	190-160 م	ثاموقادي	AE 1908, 1 7300012
ترك الكاهن الأغسطسي للمقاطعة الأفريقية "كايوس يوليوس كريسكونس C. Iulius Crescens" مبلغ 15.000 س لبناء قوس مزين بتمثالين.	161-160 م	كويكول	CIL 08, 08313
ترك كايوس أنيوس م... C. Anni Ma(...) وصية لبناء مبنى مجهول بتكلفة مالية قدرها 22.000 س	192-180 م		ILAIg-02-03, 07800
أورث ماركوس سيدوس روفوس M. Sedus Rufus مبلغ 600.000 س لإنجاز معبد الكابتول	209-193 أو 217-209 م	لمبايزيس	CIL 08, 18227
أورث أحد نبلاء المدينة "إويليبستوس Euelpistus" وصية لإنجاز معبد	القرن 2 و 3 م	واد سمندو	CIL 08, 19675
أورث "لوكيوس بوميوس روقاطوس Pompeius Rogatus L." مبلغ 20.000 س لأجل بناء معبد حامي المدينة	194-194 م	ويركوندا	CIL 08, 04192

جدول رقم (02): منشآت عمومية شيدت عن طريق الوصية.

3-3 هبات معمارية منحت بدافع ديني:

يرى "لوغلي" أن الهبات المعمارية المقدمة من طرف الخواص من الماجسترا و النبلاء لصالح المجتمعات التي ينتمون لها، أنه يطغى عليها الطابع الديني (المعابد، المذابح و التماثيل ...)، و يرجع ذلك إما لسبب ارتباط أصحاب العطاءات بتلك الآلهة كونهم يعملون بمعابدها أو أن أعمالهم يملها علمهم التقوى الشخصي، و في نظره حتى المفروضة من خلال التشريعات خصصت لبناء المعالم الدينية خاصة منها التماثيل و المذابح المقدمة لشرف الآلهة، أين تمثلت الجهة المتبرعة بها في الماجسترا من الديكوريون، الأيديل و الدومفير و غيرهم، أما الصنف الآخر من المباني و القليل من هذه الهبات فقد قدمت لسبب موقعها و أبعادها لجذب الانتباه لأنفسهم و الجهات المانحة و التي ظهرت فيها أسمائهم بشكل بارز على واجهات المباني، كما أن تقديم هذه الهبات هي رغبة من النبلاء لإظهار نجاحاتهم الاجتماعية و بالتالي فهي علامة واضحة على الحماية الإلهية.⁶⁸

يبدو أن "لوغلي" ينكر بشكل قاطع لما ذهب إليه "فين بول" الذي يقول ان "التبرعات مدنية و ليست دينية"،⁶⁹ و هو ما تؤيده الاستاذة "منصوري خديجة" في دراسة لها حول المعالم العمومية للكنفدرالية

⁶⁸ LE GLAY (M.), Évergétisme et vie religieuse dans l'Afrique romaine, Op-cit, P. 79-84.

⁶⁹ VEYNE (P.), Le pain et le cirque, Op-cit, P. 29.

السيرتية من خلال الشواهد الإبيغرافية، و التي تشير أن المباني الدينية المتبرع بها من طرف الخواص تطغى على المباني المدنية (62 معلم ديني مقابل 20 معلم مدني)، و تضيف الى جانب الحجج التي اعتمد عليها "لوغلي" كون دراستها للتبرعات المفروضة من خلال السباق نحو التشريفات تظهر أن التشريفات التي قدمت جميعها ممثلة بالدرجة الأولى بمناسبة اعتلاء منصب الراهب.⁷⁰

صحيح أننا أحصينا 109 وثيقة تشير لفتح أشغال بناء أو ترميم أو تزين لمنشآت دينية و هي أكبر نسبة مقارنة مع باقي الأصناف المعمارية الأخرى، علما أن دراستنا هذه متوقفة فقط على المنشآت المعمارية مستثنين بذلك المذابح و التماثيل التي هي الأخرى لها صبغة دينية و منحت بشكل كبير من قبل الخواص كهبات، و وجود كذلك نقيشة عثر عليها في تيفاست تتضمن عبارة صريحة أن عبيد إمبراطوري يدعى "كوروناتوس Coronatus" يشغل منصب إداري (مساعد محاسب) بالمدينة كان قد زين معبد الإلهة كايستيس و نصب قوس عند مدخل المعبد، و ذلك تنفيذا لتوجيهات الآلهة *ex praecepto Numinis*،⁷¹ إضافة لنص كتابي آخر بقلعة ماستارينسيوم تشير لإنجاز معلم مجهول من قبل "ماركوس سيتينوس فورتونانوس M. Sittius Fortunatus" بأمر من الإله ساتورنوس *Ex imperato domini Saturni*،⁷² كل هذا يجعلنا نعتقد أن فيه من العطاءات المعمارية المقدمة هي ذات صبغة دينية، و بالتالي فالجانب الديني له أثر في جعل الخواص يبادرون في تقديم هبات معمارية لمدهم، لكن ما لا نتفق فيه مع كل من "لوغلي" مارسال" و "منصوري خديجة" هو اعتبارهما للتبرعات الشرفية كونها دينية أي قدمت بدافع ديني معتمدين في ذلك على حجة كون أن تلك التبرعات منحت لشرف الاعتلاء لمناصب ذات صبغة دينية متناسين الهدف الأساسي الذي دفع بالمتبرعين لتقديم تلك هبات ألا و هو الحصول على الماجسترا الذي يندرج ضمن السياق السياسي، صحيح أن المعنى الديني موجود لكنه ثانوي، يمكن أن تقدم الهيئة تمجيذا للإله و لكن محتوى النقيشة يندرج ضمن حقل سياسي، فالإشارة للآلهة في الكتابات الشرفية يؤكد فقط الارتباط الذي يوحد المجال الديني و العالم السياسي.⁷³

الهدف من العطاءات الدينية هو الحفاظ على الاحتفالات التقليدية داخل المدينة من خلال إنشاء المباني وإقامة المهرجانات الدينية، الى جانب أنها تخدم النزعة الدينية ولكن الدافع الأساسي يكمن في السياسة و الرغبة في تأكيد الهوية السياسية من خلال الدين،⁷⁴ هذه النظرية تبرز في حرص أصحاب

⁷⁰ MANSOURI (KH.), Les monuments publics de la confédération Ciréenne, Témoignages épigraphiques, dans : XIIe Congrès international d'épigraphie grecque et latine (3-8 septembre 2002), Barcelone, P. 888.

⁷¹ ILAlg-01, 02997

⁷² CIL 08, 06353

⁷³ MONTAGNE (G.), Op-cit, P. 345.

⁷⁴ Ibid.

العطاءات في الإشارة للتكلفة المالية التي انجزت بها تلك المعالم الدينية⁷⁵ و هو مظهر مرتبط ارتباطا مباشرا بالهدف السياسي للمتبرع.

صحيح أن تقديم الهبات المعمارية ذات الصبغة الدينية هي بمثابة ممارسة دينية إلا أن اكتساب هؤلاء لصفة المتبرع بعد منحهم للهبّة لصالح مدينتهم عن طيب خاطرهم يضيء الممارسة صبغة الهبة المدنية، و من منظور عام نقول أن الهبات المعمارية كانت مرتبطة بالولاء السياسي و الديني كونهما غير قابلان للانفصال في المجتمعات القديمة.

4-3 مسألة الوطنية:

وفرت بعض نصوص موضوع دراستنا على اشارات صريحة من المتبرعين الخواص كون أن هباتهم المعمارية المقدمة لمدينتهم كانت حبا منهم لأوطانهم Ob amorem civitatis sua؛ أو لأجل الوطن الذي ينتمون اليه؛ أو من خلال استخلاص صياغتها من مضمون النقيشة، و هو يجعل منا أن نعتقد لما ذهب اليه "فين بول" و "لورو باتريك" Le Roux P.⁷⁶ أن الوطنية بمثابة محرك يغذي ارادة النبلاء للإظهار سخائهم تجاه مدينتهم، فيما يلي جدول أدرجنا فيه النصوص التي تضمنت الصيغ التي تفيد أن أصحاب العطاء كانوا قد ضمنوا تكلفة أشغال عديد المنشآت المعمارية بالمدين الرومانية في الجزائر و ذلك تعبيرا منهم عن حبهم لمدينتهم:

الملاحظة	الصيغة الإيبغرافية	المصدر	الرقم
ساهم صاحب العطاء في تزيين مدينته بمبلغ 100.000 س و إنجاز رواق ومعلم آخر مجهول ؟ بمبلغ 300 ألف س وذلك لأجل مدينته.	... ss(estertium) C mil(ia) n(ummum) ad opus mu/nificentiae suae patri/ae donavit et ...	تاغست	CIL 08, 05146
	... po]rticum additis HS CC milibus nummum patriae suae ex HS CCC mil(ibus) n(ummum) [CIL 08, 05147
صاحبة العطاء مولت تشييد مسرح لأجل تزيين مدينتها بشكل عفوي	... ob egregiam in / [s]uos cives libera/[l]itatem theatro / pecunia sua exor/nanda[e pat]riae / s[p]onte p[rom]isso / ...	كالما	CIL 08, 05366
تزيين المتبرعان (زوج و زوجته) لمبنى السوق لأجل مدينتهم.	... exornatio/nem operis / macelli quod / patriae su/ae fecerunt / Faustus mari/tus posuit	ثاموقادي	CIL 08, 02398
	... exor/nationem ope/ris macelli ... patri/ae suae fecit / sibi posuit		CIL 08, 02399

⁷⁵ CIL 08, 18227

⁷⁶ VEYNE (P.), Le pain et le cirque, Op-cit, PP. 242-246

قدمت عائلة سرتيوس سوق و منبح لأجل المدينة	Sertii / macellum / et aream / eius / patriae / suae / fecerunt		Ant Afr 45, 2009, P. 30
قدم المتبرع عديد الهبات لأجل مدينته	... et / cetera quae liberalitate sua patriae contulit ex XXX mil(ibus) n(ummum) dedit ...	روسيكاد	CIL 08, 07963
تمويل صاحب العطاء أشغال ترميم و تزين نافورة منبع لامصبا نظير حبه لوطنه.	... ornatus fontem caput / Amsagae vetustate / dilapsum et torren/tibus adsiduis dimmo/litum ab imo usque ad / summum quadrato la/pide novo et signino / opere ob amorem civi/tatis suae ... re/fecit idemq(ue) dedicavi[t]	سوبربوروم	AE 1913, 00225
كرس المتبرع ستة أعمدة مزينة لزخرفة المعبد و ذلك حبا منه للمواطنين (المدينة)	... [columnas or]natas n(umero) sex secundum voluntatem ... ob amorem civium posuit et dedicavit	لمبايزيس	CIL 08, 02682
وعد صاحب العطاء تنصيب القوس بماله الخاص لأجل وطنه	... arcum quem patriae / suae de sua liberalitate promisit ... dedicavit	ماكوماد	CIL 08, 11677

الجدول رقم (03): هبات معمارية كُرسَتْ بدافع حب الوطن

على غرار الإشارة الصريحة "ob amorem civicum" لحب الوطن" من طرف النبلاء يبدو كذلك أن مصطلح "Patria sua" لأجل وطنه" المستخدم من طرف المتبرعين لم يستعمل لهدف الإشارة لروما،⁷⁷ بل للمدينة التي ولد فيها أو عين فيها في منصب الماجسترا، و لعل تنصيب القوس عند الحدود الإقليمية لمدينة لمبايزيس بمبادرة من " كايوس بومبونيوس ماكسيموس C. Pomponius Maximus"،⁷⁸ في الوقت الذي كان ذلك في الأساس هو من صلاحيات المدينة، يجعلنا نفهم من مضمون المبادرة مدى حب هذا الماجسترا لمدينته عند تحمله أعباء إنجاز معلم يؤكد من خلاله حدود إقليم مدينته و سلطتها عليه، لذلك يمكننا أن نفهم بشكل أفضل الحماس الغير عادي الذي غالبًا ما تكون فيه المدن هدفًا لسكانها.

يبدو أن الوطنية المحلية كانت مسألة تنافس بين المتبرعين بشكل ساهمت من خلاله توفير العديد من الأشغال المعمارية بالمدن التي كان ينتمي لها هؤلاء المتبرعين، لذلك يمكننا القول أن الوطنية المحلية كانت أحد الدوافع الأساسية التي أدت بالمتبرعين لتقديم هبات معمارية جد مهمة لمدنهم.

خاتمة:

كان لتحرير الهبات المعمارية الموجهة للصالح العام من قبل الخواص- في إطار نظام الأعيان الذي أقرته السلطة الرومانية- مساهمة كبير في التنمية المعمارية التي عرفتها المدن الرومانية بالجزائر، وممارسة

⁷⁷ قد يراد بالإشارة لمصطلح "Patria" معنيين: الوطن وفقا للطبيعة أي الوطن المحلي (GAFFIOT (F.), Dictionnaire Latin-) ⁷⁸ CIL 08, 02699, 02700

MONTAGNE (G.), Op- أنظر: (français, Version V, GAFFIOT, 2016, P. 974. cit, P. 340.

هذا النظام من قبل النبلاء كان بمثابة أحد المجالات المميزة في حياتهم البلدية وواجب مهم في مسيرتهم، و من خلاله يعمل الخواص على تعزيز مكانتهم داخل المجتمعات التي ينتمون لها، ومن هذا المنطلق عمل الخواص على تقديم عطاءات مالية حرصوا على تجسيدها في أشغال معمارية، منها التي قدمت بمناسبة تقلدهم لمناصب الماجسترا، ومنها التي منحت عن طيب خاطر وهذه لا تخضع لأي التزام قانوني؛ إنما منحت في الأساس لعدة اعتبارات، وغالبا ما يعبر عنها في الوثائق الإبيغرافية بعبارات صريحة، أما الهبات المعمارية الشرفية فهي بمثابة ترجمة للمكانة الاجتماعية التي تم إضفاء الطابع الرسمي عليها من خلال تحقيق أعلى درجات الشرف.

في الأساس تباينت الدوافع التي منحت لأجلها الأشغال المعمارية من طرف الخواص للصالح العام، من دوافع دينية يملها التقوى الشخصي وارتباط وظائف الأفراد بالمجال الديني، ودوافع سياسية تبرز في طموحهم لاعتلاء المناصب والارتقاء في السلم الشرفي، إلى دوافع اجتماعية تظهر في حرصهم على تقديم عطاءات تؤكد أحقيتهم بمكانتهم الاجتماعية وذلك في نظر أسرهم ومدنهم و مواطنيهم، من خلال التنافس و التباهي في العطاءات، كما كان لمسألة الوطنية محرك يغذي إرادة الوجهاء لتقديم عطاءات معمارية، ولعل ما يمكن أن نخلص له هو أنه على الرغم من تعدد الدوافع وراء منح الخواص لأشغال معمارية للمدن التي ينتمون لها و التي عادت بالنفع على عامة سكانها، إلا أن هؤلاء الخواص في المقابل كانوا قد نجحوا في تحويل الرأس المال الاقتصادي إلى رأس مال اجتماعي و سياسي.

الببليوغرافيا:

- 1- عرباوي (صادق)، المنشآت العمومية الرومانية بالجزائر خلال العهد الامبراطوري الأول –دراسة إبيغرافية-، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2022
- 2- مقرانطة (بختة)، العطاء ببلاد المغرب القديم: موريطانيا القصبية أنموذجا، الملتقى الدولي حول الوقف و مصطلحاته بين الواقع الاجتماعي المحلي و المعايير الفقهية، مجلة الناصرية، مخبر البحوث الاجتماعية و التاريخية، العدد 7، معسكر، دون سنة.
- 3- مهنتل (جهيدة)، الهبات المالية -Évergétisme- في النظام المحلي لمدن المغرب القديم من خلال النقائش، في مجلة آثار، أعمال الملتقى الخامس حول: دور البحث العلمي في المحافظة على التراث الأثري، العدد 12، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، سنة 2015
- 4- ANDREAU (J.), SCHNAPP (A.) et autre, Paul Veyne et l'évergétisme, dans: Annales. Économies, Sociétés, Civilisations, 33^e année, N^o. 2, 1978
- 5- BOULANGER (A.), Aelius Aristide et la sophistique dans la province d'Asie au IIe siècle de notre ère, Paris, 1923.
- 6- BOURGAREL-MISSO (A.), Recherches économiques sur l'Afrique romaine, dans : Rev. Afr., V 75, 1934.

- 7- BRIAND-PONSART (C.), *Summa honoraria et ressources des cités d'Afrique*, dans: *Il capitolo delle entrate nelle finanze municipali in Occidente ed in Oriente*, Actes de la Xe Rencontre franco-italienne sur l'épigraphie du monde romain (Rome, 27-29 mai 1996) Rome, École Française de Rome, 1999
- 8- CAGNAT (R.), *L'Année Épigraphique*, Paris, 1888.
- 9- CAROLINE (B.), *Le rôle des administrations municipales dans l'érection des arcs monumentaux en Afrique (de la Tingitane à la Tripolitaine) du 1^{er} au IV^e siècle ap. J-C*: Q.M.O.R., Collection histoires croisées, Paris, 2008
- 10- CEBEILLAC (M.), *L'évergétisme des magistrats du Latium et de la Campanie des Gracques à Auguste à travers les témoignages épigraphiques*, dans: M.E.F.R.A., T. 102, N°2, 1990.
- 11- CUP (E.), *Manuel des institutions juridiques des romains*, Paris, 1928.
- 12- DENIAUX (E.), *Rome, de la cité-Etat à l'Empire, Institutions et vie politique aux II^e et I^{er} siècle av. J.-C.*, Ed. Hachette, Paris, 2014
- 13- EDMOND (F.), *Evergétisme et construction urbaine dans les Trois Gaules et les Germanies*, dans: *Revue du Nord*, Tome 66, N°260, Janvier-mars 1984
- 14- GAFFIOT (F.), *Dictionnaire Latin-français, Version V*, GAFFIOT, 2016
- 15- GYGAX (M. D.), *Contradictions et asymétrie dans l'évergétisme grec : bienfaiteurs étrangers et citoyens entre image et réalité*, dans: *Dialogues d'histoire ancienne*, Vol. 32, N°1, 2006.
- 16- GSELL (St.), *Inscriptions latines de l'Algérie*, Paris, 1922.
- 17- HUGONIOT (C.), *Les spectacles de l'Afrique romaine, une culture officielle municipale sous l'empire romain, Volume 01 : les édifices de spectacle*, thèse de doctorat inédite, Université de Paris IV, Sorbonne, 19
- 18- HULOY (H.) et BERTGELOT (J-F), *Les cinquante livres du Digeste ou des Pandectes de l'empereur Justinien*, t. 7, Mets, 1804, P.579.
- 19- JACQUES (F.), *Ampliatio et mora : Evergètes récalcitrants d'Afrique romaine*: *Ant. Afr.*, 9, 1975
- 20- JACQUES (F.), *Le privilège de liberté, Politique impériale et autonomie municipale dans les cités de l'Occident romain (161-244)* Rome, collection de l'école française de Rome, Rome, 1984
- 21- JACQUES (F.), *Volontariat et compétition dans les carrières municipales durant le Haut-Empire*, dans: *Ktèma : civilisations de l'Orient, de la Grèce et de Rome antiques*, N°6, 1981
- 22- LAHMEDI (A.), *Testament facere: legs et évergétisme testamentaire dans les provinces romaines d'Afrique*, Thèse en vue de l'obtention du doctorat en Histoire ancienne, Faculté sciences humaines et sociales, Tunisie, Tunis, 2015/2016, P. 173.
- 23- LASSERE (J-M.), *Manuel d'épigraphie romaine*, T. 2, Ed. Picard, Paris, 2005
- 24- LE GLAY (M.), *Évergétisme et vie religieuse dans l'Afrique romaine*, dans: *L'Afrique dans l'Occident romain (I^{er} siècle av. J.-C. - IV^e siècle ap. J.-C.)*, Actes du colloque de Rome (3-5 décembre 1987) Rome : École Française de Rome, 1990
- 25- MALISSARD (A.), *Les romains et l'eau. Fontaines, salles de bains, thermes, égouts, aqueducs...*, Les belles lettres, Paris, 2002
- 26- MANSOURI (KH.), *Les monuments publics de la confédération Ciréenne, Témoignages épigraphiques*, dans : *XIII^e Congrès international d'épigraphie grecque et latine (3-8 septembre 2002)*, Barcelone
- 27- MONTAGNE (G.), *« Amator civitatis », Les notables municipaux en Numidie (II^{ème} siècle ap. J.-C. – IV^{ème} siècle)*, Mémoire master 2 en Archéologie Préventive, Département Archéologie et Anthropologie, Université de Pau et des Pays de l'Adour, 2012-2013
- 28- VEYNE (P.), *Le pain et le cirque, Sociologie historique pluralisme politique*, Paris, 1976.
- 29- VEYNE (P.), *Panem et circenses : l'évergétisme devant les sciences humaines*: *Annales: Economies, sociétés, civilisations*, 24^e année, N. 3, 1969